واستبداله بمعاهدة بين فلسطين المستقلة وبريطانيا، شبيهة بالمعاهدات القائمة بين بريطانيا وكل من العراق ومصر وبين فرنسا وسوريا. غير ان الجهود العربية لم تفلح في تحقيق اهدافها.

وفي اواخر سنة ١٩٣٧، بدأ الثوار العرب يشنون حملة على القوات البريطانية والصهيونية في فلسطين، وقد تطورت، تدريجياً، خلال سنة ١٩٣٨، وتبلورت على شكل حرب عصابات منظمة جيداً في الجبال وفي المدن. وكان المحرك لهذه الحملة الزعماء السياسيون الفلسطينيون، الذين لجأوا الى سوريا ولبنان والعراق، ومؤيدوهم في هذه البلدان، حيث يجند هناك المتطوعون ويدربون ويرسلون مع الاموال والاسلحة عبر الحدود الى فلسطين. وحتى صيف تلك السنة، كانت مجموعات الثوار وصلت الى مدى من التنظيم لا بأس به استطاعت معه تنسيق نشاطها في المناطق المختلفة وخاضت معارك عديدة مع القوات البريطانية، من جيش وشرطة، في مناطق مختلفة من فلسطين. كذلك انشئت محاكم ثورية، وراح الثوار يصدرون طوابع بريد خاصة بهم، وتحولت القدس الى مركز لهم لم يكن باستطاعة الجيش والشرطة دخوله. وخلال شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٣٨، وصلت الثورة العربية في فلسطين الى اوج قمتها، بعد ان نشأ وضع كانت الحكومة معه تحكم في النهار والثوار يحكمون في الليل. وبرز العديد من القادة والمجاهدين الذين بسطوا نفوذهم وسيطرتهم على مناطق مختلفة من فلسطين. غير ان البريطانيين سرعان ما عززوا قواتهم في فلسطين بقوات استقدمت من مصر، وشنوا حملات قمع واسعة النطاق، الامر الذي اسفر عن اخماد الثورة الفلسطينية.

بعد ذلك، بدأت سلسلة من المداولات والمفاوضات، عقدت في اثنائها عدة مؤتمرات ولقاءات من اجل تسوية المشكلة، الا انها لم تتوصل الى شيء ملموس يهدف الى تحقيق استقلال فلسطين. واثر انتهاء هذه المرحلة، اصدرت الحكومة البريطانية في ١٧ ايار (مايو) ١٩٣٩، كتاباً ابيض جديداً بشـأن سياستها في فلسطين. وقد جاء هذا الكتاب مختلفاً، في مضمونه واهدافه، عن كافة الكتب البيضاء السابقة التي اصدرتها بريطانيا منذ بداية الانتداب على فلسطين، واعتبر بمثابة نهاية حقبة من الحكم البريطاني في البلاد. واشارت الحكومة البريطانية الى انها اضطرت الى اصدار الكتاب بعد ان فشلت الحلول المقترحة كافة لحل المسألة الفلسطينية، وكذلك بعد ان رفضت الاقتراحات التي قدمتها في مؤتمر لندن. فقسمت الكتاب الى ثلاثة ابواب هي الدستور والهجرة والاراضي.

اثار صدور هذا الكتاب ردود فعل مختلفة لدى الاطراف المعنية. فالمقترحات التي تضمنها لم تحظ برضى اي من العرب او اليهود، وان اختلف موقف كل طرف منهما ازاءها. فالموقف العربي كان قد عبرت عنه اللجنة العربية العليا، عبر بيان لها، يؤكد ان الشعب العربي مصرّ على وقف الهجرة، وقفاً تاماً، ولا يرضى بما دون ذلك، ويصرّ على منع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود، منعاً باتاً ونهائياً، ويطالب باستقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية.

اما المعسكر الصهيوني، فقد رد على الكتاب الابيض بحدة متناهية. فالوكالة اليهودية وصفته بانه يتنكر «لحق الشعب» اليهودي في اقامة «وطن قومي» في فلسطين. اثر ذلك، باشروا بمقاومته عبر اقامة المزيد من المستوطنات، وانشاء الخلايا السرية للدفاع عنها. كما نشطت الهجرة، حتى وان كانت عبر طرق ليست شرعية. واخذت تقوم بحملات ارهابية منظمة ضد العرب ومدنهم وقراهم.

واذ انعقـد المـؤتمر الصهيوني الحادي والعشرون، ورُفض الكتاب الابيض، جملة وتفصيلاً، اندلعت الحرب العالمية الثانية، واتخذت قضية فلسطين مجرى آخر.

تلك هي صورة الصهيـونية، وصورة النضال الفلسطيني ضدها، كما عرضناها في مفاصلها العامة التي يضمها هذا الكتاب، الوثيقة، المرجع، معززاً بالملاحق.

عبدالله صخي